بهذه (الكتب المترجمة) الفاسدة الاساليب والركيكة التعابير لان عدم استقامة تراكيبها يقضي بصعوبة استخراج المعنى واحتوائها سقط الكلام يفسد ذوق الطلبة ويزيغ بهم عن محجة الصواب في صناعة الكتابة والانشاء. وتصبح بعد ذلك معالجتهم بالكتب الفصيحة رقماً على صفحات الماء.

هذا ومما لا يبرح من الاذهان أن حكمنا على هذين النوعين (من الكتب) يجب ان يعتبر حكماً اجمالياً لا يتناول ما جاء منها خالياً من العيوب ومرادنا بهذا الاستدراك وقاية النفس من الرمي بالتحامل وغمط فضل من ليس لكتبهم في هذا البحث دخل. وهم بالشكر والثناء افضل اهل. واسقاط حجة من يرد علينا بها محمولاً بسابق وهم او بسوء فهم. لانها في حكم النادر والنادر لا يبنى عليه حكم. فاذا نظرنا الى كتب كلٍّ من هذين النوعين على حدةٍ وجدنا فيها ما تقدم بيانهُ من النقص القاضي عليها بعدم الصلاحية لان تكون كتباً تعليميةً ما لم ينظر في شانها فيصلح منها ما كان قابلاً للاصلاح ويُستبدَل الباقي بما يجيء مستوفياً شروط تأليف – او ترجمة – الكتب المقصود بها تدريج الطلبة في معارج العلوم والفنون وتخريجهم في مناهج التقدم والفلاح ستاتي البقيّة

الدكتور شليمن

ولد الدكتور شليمن في مدينة نوبكو من اعمال جرمانيا وكان ابوهُ قسيساً فقيراً ولكنهُ كان على شيء من العلم وكان لهُ المام بالتواريخ القديمة فلما بلغ ابنهُ السنة السابعة من عمرهِ اهدى اليهِ نسخة من التاريخ العام الذي ألفهُ لدوغ جرر. وفي هذا التاريخ صورة مدينة تروادة والنار تكتنفها فأثّرت رؤيتها في نفسهِ وقال لابيهِ انها كانت هذه المدينة قد وُجدت حقيقة فلا بدَّ من بقاء آثارها الى يومنا هذا تحت غبار الادهار. وهو قول قلَّما يُصدَّق ان ولداً في السابعة يقولهُ ولكن الدكتور شليمن نفسهُ ذكرهُ في تاريخ حياتهِ ولعلَّهُ قال قولاً يقرب منهُ. ومهما يكن من الامر فلا شبهة في انهُ رغب من صباهُ في اكتشاف آثار هذه المدينة وكانت الرغبة تتزايد فيهِ الى ان حملتهُ على ترك اعمالهِ كلها والتفرُّغ الى البحث عن هذه الآثار كما سيجيء

وكان ابوهُ عازماً ان يعلمهُ في افضل المدارس وينفق على تعليمهِ بقدر طاقتهِ ولكنهُ

لم يقم في المدرسة الاَّ بضعة اشهر حتَّى رُزئ ابوهُ برزء ذهب بمالهِ كلهِ ولم يترك له شيئًا فاضطرَّ ان يترك المدرسة ويسعى في طلب رزقهِ وكان عمرهُ اذ ذاك احدى عشرة سنة . وبعد ثلاث سنوات دخل في خدمة بدال (بقّال) وكان يقيم في حانوتهِ من الساعة الخامسة صباحًا الى الحادية عشرة ليلاً فنسي كل ما تعلمهُ في البيت وفي المدرسة ولكنهُ لم ينسَ تروادة واخبارها . وفي احدى الليالي دخل حانوت معلمهِ شاب من ابناء الاغنياء وكان قد ربي في احسن المدارس ثم فسدت اخلاقهُ وعكف على شرب المسكرات قال شليمن " ودخل هذا الشاب الحانوت وجعل يتلو علينا اشعار هوميروس باللغة اليونانية فسررت بذلك سرورًا لا يوصف مع انني لم افهم كلمة مما كان يقول وبكيت على سوء حظي واستعدتهُ الاشعار ثلاثًا وسقيتهُ ثلاث كؤوس من المسكر اشتريتها بكل ما معي من النقود وجعلتُ اسأل الله ان لا يحرمني تعلُّم اللغة اليونانيَّة "

واقام شليمن في هذا الحانوت خمس سنوات يتجرَّع غصص البلاء وفيما كان يرفع برميلاً كبيرًا آذى صدرهُ وجعل ينفث الدم فتركهُ معلمهُ من خدمتهِ حاسبًا انهُ لم يعد يصلح لها فهام على وجههِ لا يدري ماذا يعمل واخيرًا دخل احدى السفائن خادمًا وعزم ان يهاجر بها واضطرَّ ان يبيع ثوبهُ ويبتاع بثمنهِ حرامًا يتدثَّر بهِ ثم انكسرت السفينة بقرب مدينة امستردام ولكنهُ نجا من الغرق ودخل المدينة فرآهُ احد التجار ورقَّ لهُ وادخلهُ في خدمتهِ وجعل يعطيهِ السفائج ليقبض قيمها من التجار لان نحافة جسمهِ لم تمكنهُ من الاعمال الشاقة . وكان يأخذ كتابًا في يدهِ يطالع فيهِ وهو يجول في الاسواق من تاجر الى تاجر . وأُعطي اجرة في السنة ثماني مئة فرنك فكان يأكل ويشرب ويكتسي بنصفها ويتعلم بالنصف الآخر وعاش عيشة زرية جدًّا لكي يمكنهُ ان يغذي عقلهُ بالبان المعارف فتعلم الانكليزيَّة والفرنسويَّة والدانيمركيَّة والاسبانيَّة والايطاليَّة والبرتوغاليَّة وكان يتكلم بهذه اللغات ويكتب جيدًا . ولا بدَّ من ان المراكز العقليَّة التي تمكّن الانسان من تعلُّم اللغات كانت نامية فيهِ نموًّا غير عادي حتَّى قدر ان يتقن هذه اللغات كلها في وقت قصير ولغات اخرى بعدها . وترك خدمة هذا التاجر سنة ١٨٤٤ ودخل في خدمة تاجر آخر يبيع النيل وغيرهُ من البضائع الثمينة فجعل اجرتهُ الفًا ومئتي فرنك ثم زادها لهُ وابلغها الفي فرنك في السنة . وكانت تجارة معلمهِ ممتدة الى بلاد الروس فاخذ يدرس اللغة الروسيَّة ولا معلم لهُ الاَّ الكتب وعثر بكتاب تلماك المترجم الى الروسية فجعل يتعلمهُ غيبًا ثم رأى ولدًا يهوديًّا يعرف هذه اللغة فاستأجرهُ ليسمع لهُ ما تعلمهُ من رواية تلماك

فلم يفهم اليهودي شيئاً منه لانه لم يكن يلفظ الكلمات الروسية لفظاً صحيحاً

وفي تلك السنة أُرسل الى مدينة بطرسبرج ليبيع النيل فيها فنجح نجاحاً عظيماً واستقلّ في تجارته فاثرى واهمل الدرس مدة وعكف على جمع الثروة ثم عاود الدرس وتعلم اللغة الاسوجيّة والبولنديّة . وسنة ١٨٥٤ كاد يخسر كل ثروته وكانت قد بلغت ستمئة الف فرنك لانه ابتاع بها كلها بضائع وفيما كانت هذه البضائع آتية الى بطرس برج برّاً شبت النار في مخازن البضائع فلم تبقِ ولم تذر واتفق ان بضائعه بلغت المخازن بعد ان امتلأت فوضعت في مخزن آخر لم يحترق . وارتفع ثمنها كثيراً بسبب احتراق غيرها فباعها حالاً وجلب غيرها ولم تنتهِ حرب القرم حتى تضاعفت ثروته . وحينئذٍ جعل يدرس اللغة اليونانيّة القديمة والحديثة واللغة اللاتينية فاتقن هذه اللغات وساح في بلاد اسوج والدانيمرك وجرمانيا وايطاليا ومصر والشام وتعلم العربية وهو يسبح في مصر والشام وعرّج على ازمير واثينا ثم رجع الى بطرس برج و بقي فيها الى سنة ١٨٦٣ وجمع ثروته الطائلة وعزم على متابعة هوى نفسه الذي علق قلبه منذ نعومة اظفاره وهو البحث عن آثار تروادة . وقبل ان اخذ في هذا العمل طاف حول الارض في خمسين يوماً وكتب في غضونها كتاباً عن الصين واليابان طبعه في باريس سنة ١٨٦٦ . ثم عاد الى المكان الذي يظن ان مدينة تروادة كانت مبنية فيه واكتشف آثار مدينة قديمة وجد فيها كثيراً من الاسلحة والامتعة والحلى الذهبية والفضية وادّعى انه اكتشف قصر ملك تروادة وخزائنها التي دفنت قبل حرقها مخافة ان تقع في ايدي اليونان على ما جاء في اشعار هوميروس . وخالفه كثيرون من الباحثين في هذه المواضيع وطال الجدال بينهم . ثم ابتاع الآثار التي اكتشفها بالفي جنيه من ماله وعرضها في بلاد الانكليز ووهبها لحكومة المانيا

ولما تمّ اكتشاف خرائب تروادة عزم ان يبحث عن قبر الملك اغاممنون الذي حاربها . فاستدلّ مما قاله المؤرخ بوسانياس اليوناني على قبر اغاممنون في جهات مسيني التابعة لبلاد اليونان فاستأذن الحكومة اليونانية في التفتيش عنه فاذنت له مشترطة عليه ان يعمل على نفقته ويعطيها ما يجده فقبل بهذا الشرط وشرع في النقب فتكلل عمله بالنجاح وهاك طرفاً مما كتبه في هذا الموضوع

قال في رسالة مؤرخة في الخامس عشر من شهر نوفمبر (ت ٢) سنة ١٨٧٦ وفي رسائل أخرى تابعة لها ما ملخصه . انه وجد في قبر من القبور التي اكتشفها ١٢ زرّاً من الذهب كلاً منها قدر الريال واوراقاً من الذهب وحلى عديدة وكاساً وتاجاً من الذهب الابريز

ورمحاً من القلز (البرنز) . وكتب في الرابع والعشرين من ذلك الشهر يقول انهُ اكتشف خمسة قبور اخرى ووجد في اصغرها عظام رجل وامرأة مغطاة بحلى ذهبية وزنها الف مثقال وفيها من النقش ما يدهش الابصار وكثيرًا من الاقراط وصولجانين قبضتاهما من البلور الصقيل وكثيرًا من الآنية الذهبية والنحاسية . وكتب في السابع والعشرين منهُ انهُ وجد في احد هذه القبور عظام امرأة وقرطين كبيرين من الذهب واقراطًا كثيرة من الحجارة الكريمة ومئات من الصفائح الذهبية ورأس ثور وهو من الفضة الخالصة وقرناهُ من الذهب وطاسًا لهُ عروتان عليهما حمامتان وطاسًا آخر لهُ عروة واحدة وكاسًا كبيرة وكل ذلك من الذهب الابريز . ووجد مئتي زر من الذهب وتسع كؤوس من الفضة وبعضها مموَّه بالذهب وعشرة آنية من القلز وعظام رجل كبير الهامة وبجانبها كثيرًا من الرماح والسيوف منها سيف مقبضهُ من الذهب وكثيرًا من الحلى والجواهر . وكتب في الثامن والعشرين من الشهر يقول انهُ وجد في القبر الرابع من هذه القبور الخمسة آثار خمس جثث ومئتي زر مستدير من الذهب واثني عشر زرًّا صليبية الشكل وخمسة وعشرين سنًّا نصالها من القلز وبعضها مرصع بالمسامير الذهبية ووشاحين من الذهب طول كلٍّ منهما اربع اقدام ووشاحين آخرين عليهما نقوش بديعة . ومقبض صولجان من الذهب لهُ راس تنين وسبعة اكاليل كبيرة واكليلاً صغيرًا وكلها من الذهب . واربع قطع ذهبية كالخلاخل توضع فوق الجرامق وسوارًا من الذهب زنتهُ مئة درهم وخاتمين صغيرين من الذهب وعلى احدهما صورة فارسين راكبين في مركبة ذات بكرتين وفرسين عاديين وقد رمى احد الفارسين وعلاً بسهم فجرحهُ ولوى الوعل عنقهُ يشكو الالم . وعلى الخاتم الآخر صورة رجل منتصر على ثلاثة من اعدائهِ وقد استلَّ سيفهُ ليضرب واحدًا منهم وهو راكع امامهُ على ركبة واحدة ورافع يسارهُ ليستلقي الضربة بها ويميناً حربة يريد ان يطعنهُ بها والثاني من اعدائهِ مصروع على الارض قتيلاً والثالث فارٌّ من امامهِ ومحتمٍ بترسهِ

ووجد على رأس جثة متاخوذة من الذهب انطبق بعضها على بعض بمثل ما كان فوقها من الرمم وجد على وجه الجثة غطاء من الذهب وعلى صدرها صفيحة سميكة من الذهب بمثابة الدرع ومئة ورقة من الذهب بعضها مستدير وبعضها صليبي وثلاثة دبابيس واناء كبيرًا من الذهب ثقلهُ ٣٥٠ مثقالاً وكؤوسًا وآنية أخرى من الذهب وثمانية اباريق من الفضة وكثيرًا من خرز الكهرباء

وكتب بتاريخ ٣ يناير سنة ١٨٧٧ انهُ وجد في القبر الخامس آثار رمة محروقة

وتاجًا من الذهب الابريز وعن يمين الرمة سنان رمح وخاتمين وسيفين من الفلز وسكينين وعن يسارها كاسًا ذهبيةً ووجد في القبر الاول بعد ان جفّ طينهُ رمم ثلاثة اشخاص وعلى رأس احدهم خوذة من الذهب مفرطحة من عظم الضغط وعلى رأس الآخر خوذة احتملت الضغط ولم تتفرطح فوقت رأسهُ وهو شاب في نحو الثانية والثلاثين من العمر وعلى صدرهِ وشاحًا من الذهب طولهُ اربع اقدام وعرضهُ عقدة وثلاثة ارباع العقدة وكاسًا من البلور وعلى جانبي الرمة سيوفًا طويلة من الفلز وازرارًا من الذهب وكؤوسًا وقوارير ذهبيةً وفضيةً . ووجد مع رمة الشخص الثالث درعًا سميكة من الذهب وخمسة عشر سيفًا وخمسة وسبعين زرًّا من الذهب وسوارًا وخمس صنائح واوراقًا كثيرة وكل ذلك من الذهب الابريز وكاسين وملقطين من الفضة وآنية من الفلز وكرات من الكهرباء الى غير ذلك مما تراهُ مفصلاً في المجلد الاول من المُقتطف عند الكلام على كنوز مسيني

ولما شاع اكتشافهُ لهذه الكنوز قاومهُ كثيرون من علماء الآثار بعضهم حسدًا وكبرًا وبعضهم ارتيابًا في حقيقة ما ادعاهُ وطلبًا لتمحيص الحقائق ولكنّ كثيرين اقروا بفضلهِ ورفعوا منزلتهُ

وكان الدكتور شليمن ربعة بين الرجال ممتلئ البدن تزوج بفتاة يونانيةٍ مشهورة بحفظها لاشعار هوميروس وكانت ترافقهُ في اسفارهِ وتشاركهُ في بحثهِ عن آثار الاولين . وألّف كتبًا كثيرة وصف بها مكتشفاتهِ . ولا مشاحة في انهُ ارتقى بمجدهِ واجتهادهِ حتّى صار من الاغنياء واستعمل غناهُ لتوسيع نطاق علم الآثار واصاب بذكائهِ وزكانتهِ ابدع الآثار التي تركها السلف للخلف بانيًا بحثهُ على اشعار هوميروس وما فيها من الوصف الدقيق . وقد زار ادارة المُقتطَف في القاهرة فرأينا منهُ رجلاً لين العريكة قوي البداهة واسع الاطّلاع يتكلم العربيةَ بسهولة . وكانت وفاتهُ بايطاليا يوم الجمعة في ٢٦ من دسمبر الماضي وقدّرت تركتهُ باثني عشر مليونًا من الفرنكات وجاء اقرباؤهُ من جرمانيا وحملوهُ الى اثينا ودفنوهُ فيها وأبّنهُ الدكتور ولدستين رئيس مدرسة الآثار والقى خطبةً في المدرسة عدد فيها مآثر الفقيد واعمالهُ وكان ذلك بحضور ملك اثينا وزوجتهِ ودوق سپارتا وزوجتهِ وجمهور من الامراء والعظماء